

صفات الشخصيات الاقتصادية الاموية وفق رؤية المستشرقين

م. د. ياسمين عباس مطلق¹

انتساب الباحث

¹ قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية،
الجامعة العراقية، العراق، بغداد، 10001

¹ Yasmin.a.mutlaq@aliraqia.edu.iq

¹ المؤلف المراسل

معلومات البحث

تاريخ النشر: تشرين الاول 2025

Affiliation of Author

¹ Department of Arabic
Language, College of Science
Islamic, University of Iraq, Iraq,
Baghdad, 10001

¹ Yasmin.a.mutlaq@aliraqia.edu.iq

¹ Corresponding Author

Paper Info.

Published: Oct. 2025

المستخلص

قامت الدولة الاموية بقوة السيف وحكمت ثمانين سنة ، تولى حكمها زهاء ثلاثة عشر خليفة فأتسم الحكم الاموي بسيادة مبدأ الوراثة مما ادى ذلك إلى اضعافها ، وكان من بين خلفاء بنو امية عبد الملك بن مروان 65-86 هـ ، ويعد المؤسس الحقيقي للدولة فاستقرت الدولة على يديه ، وقام بالعديد من الاعمال ، كما أن الخليفة الوليد بن عبد الملك قام بتوسيع رقعة الدولة الاموية من خلال الفتوحات التي قام فيها ، فيتقارن فتوحاته بفتوحات الخليفة عمر بن الخطاب ، كما عد عهد الخليفة هشام بن عبد الملك من ازهى عهود خلفاء بني امية في ضوء مما تقدم انطلق بحثنا والذي حمل عنوان صفات الشخصيات الاقتصادية الاموية وفق رؤية المستشرقين، فقد حمل بين طياته دور رجال الدولة الاموية من خلفاء وولاة في التطور الاقتصادي الذي شهدته البلاد طيلة حكمهم .

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد، المستشرقون، الامويين، بيت المال، الضرائب

Characteristics of the Umayyad Economic Figures in the Umayyad Era according to the Vision of Orientalists

Dr. Yasmin Abbas Mutlaq¹

Abstract

The Umayyad state was established by the sword, and ruled for eight years, its was ruled by approximately thirteen caliphs. The Umayyad government swore to uphold the principle of inheritance, which led to its weakening . among the Umayyad caliphs was abd al-malik ibn Marwan (65-86 ah) , after whom the true founder of the state was established. The state was established at his hands, and he carried out many tasks. Caliph al-walid ibn abd al- malik also expanded the Umayyad state through the conquests he carried out. His conquests are compared to those of caliph umar ibn al-khattab. The era of caliph Hisham ibn abd al- malik was considered one of the most prosperous eras of the Umayyad caliphs. In light of the above , our research , entitled characteristics of the Umayyad economic personalities according to the orientalist vision , carried within it the role of the men of the Umayyad state, from allies to governors, in the economic development witnessed by the country throughout their rule.

Keywords: Economies, Orientalists, Umayyads, Bayt al-mal ,Taxes

المقدمة

فقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين ، تطرقنا في المبحث الاول إلى دراسة السياسة الاقتصادية والمالية في عصر الدولة الاموية وفق رؤية المستشرقين، اما المبحث الثاني فقد حمل عنوان الاعمال العمرانية والادارية في عصر الدولة الاموية وفق رؤية المستشرقين.

أن الهدف من هذا البحث هو مقارنة صفات الشخصيات الاقتصادية في الدولة الاموية ، للتوصل إلى العوامل والاثار الاقتصادية التي بقيت واثرت في فترات لاحقة ، فقد كانت لها اثار ايجابية على اهل

الشام والموصل مما جعلهم يوالون الدولة الاموية ويرفضون الحكم العباسي فيما بعد.

أن هنالك تساؤلات كثيرة تطرح نفسها في هذا البحث ومن بينها ، هل يا ترى كانت الاجراءات والاعمال التي قام فيها رجال الدولة الاموية ترجع إلى شخصيتهم ؟ أم بتأثير من الانظمة البيزنطية في بلاد الشام؟ أو جاءت هذه الاعمال والاصلاحات في محاولة لكسب ولاء المجتمع إلى جانبهم ؟

المبحث الأول: السياسة الاقتصادية والمالية في عصر الدولة الاموية وفق رؤية المستشرقين

قبل الخوض في الكلام عن نشوء الخلافة الاموية في بلاد الشام لابد أن نسلط الضوء عن كيفية وصول الخلافة الى البيت الاموي في سنة 41هـ. وشهدت هذه الحقبة التاريخية تغيير نظام الحكم الاسلامي من مبدأ الشورى إلى مبدأ الوراثة.

عندما جرح الامام علي عليه السلام دخل عليه جندب بن عبد الله ، وقال له: "يا امير المؤمنين أريت أن فقدناك - ولا نفقدك- أنبايع الحسن؟ فقال : لا أمركم ولا أنهاكم وانتم بأموركم أبصر" (الحسين، 1885م، صفحة 42).

بويح الأمام الحسن بن علي عليه السلام بالخلافة في 21 رمضان سنة 40هـ ، لكن الامام الحسن كان كارهاً لهذا الأمر راغباً في جمع كلمة المسلمين فتنازل الامام الحسن عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان طيلة حياته وروي لنا اليعقوبي سبب التنازل في أن الامام الحسن ع اثر حقن دماء المسلمين في سلك طريق المفاوضات (284هـ/897م)، 1358هـ، صفحة 256).

يرى الطوسي بأن تنازل الأمام الحسن ع ولجؤه إلى التسليم هو حقناً لدماء المسلمين ، وعدم ايمانه بشرعية الوراثة ((ت460هـ)، 1385هـ، صفحة 178)

يبدو لنا في ضوء مما سبق ، بأنه لم يكن أمر التنازل عن الخلافة في أن الأمام الحسن ع لم يكن مهتماً بالخلافة ، ولا في حصرها بـ آل علي عليهم السلام ؛ وذلك لأن الأمام الحسن استند إلى مقولته والده ع التي تنص على : " لا أمركم ولا أنهاكم وانتم بأموركم أبصر".

يمكن أن نرجع هذا الاختلاف إلى ما حدث من اختلاف بعد وفاة النبي محمد ﷺ في اختيار خليفة للمسلمين ؛ لأن النبي ص لم يضع نظاماً سياسياً يسيّر عليه المسلمين من بعده لإدارة الدولة ، وان اهم ما يلاحظ بأن النبي ص لم يتسلم سلطته السياسية بصفته الشخصية ، وانما بصفته رسول الله (عمر) ، وأن النبوة انتهت بوفاته صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الانبياء ، وان النبوة لا تورث ؛ لذلك جعلها الرسول ص شورى من بعده بين المسلمين استناداً لقوله تعالى : وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض (سورة الانعام) ، وكذلك ما ورد في قوله تعالى: وامرهم شورى بينهم (سورة الشورى) .

قامت الدولة الاموية في بلاد الشام ، نتيجة الجهود التي بذلها معاوية بن ابي سفيان بحيث كان والياً على الشام منذ عهد الخليفة

الراشدي الثاني عمر بن الخطاب حتى عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان وبالإضافة الى ذلك جمع الخليفة عثمان بن عفان الجزيرة مع الشام وولى عليها معاوية ((ت282هـ/895م)، 1960م ، صفحة 245) فأصبحت ولايته تضم مناطق واسعة جداً من الدولة واستفاد معاوية من الحقبة الزمنية الطويلة التي امضاها في ولاية الشام بتثبيت سلطته القوية ونفذه ، وقام في تحرير مدن الساحل مثل طرابلس وقيسارية وعسقلان وشحنها بالرجال ، وحسن الثغور واقام الاربطة على السواحل ، واتبع سياسة بحرية قوية للوقوف بوجه البيزنطيين ، فكسب تأييد القبائل العربية له ((ت279هـ/892م)، صفحة 12) وبذلك كان وجود معاوية في الشام متميز بوقوف قبائل الشام الى جانبه ، ولم يعلن مبايعته إلى الخليفة علي ع.

استطاع معاوية ان ينال الخلافة لتهيئة الظروف المناسبة له في اثناء النزاع الذي حصل مع الامام علي ع وفي مجيء معاوية إلى الخلافة في سنة 41هـ وتم القضاء على فكرة الانتخاب والاغفال لمبدأ السبق في الاسلام ، والتأكيد على القوة والنفوذ للوصول إلى سدة الحكم، فقد وصفه المستشرق فلهاوزن بقوله "قد استولى على العراق وهو لم يصل إلى ذلك من طريق فتحها بأكثر مما وصل إليه عن طريق شرائها ، وكان اذا استطاع ان يصل الى غرضه بالمال لم يبخل به ، ولكنه كان لا يعطي شيئاً بدون غرض" (يوليوس، صفحة 133) ، فسار معاوية على التقاليد العربية التي كانت سائدة قبل الاسلام والتي تمثلت بمبدأ الوراثة المباشرة ، ولقد اثار عمله هذا سخط العرب عامة والامويين خاصة عندما بايع ابنه يزيد في توليه الحكم من بعده ، ثم اكدت نظرية السياسة الاموية بأن الخليفة هو خليفة رسول الله ﷺ وان اطاعته كانت بمثابة اطاعة الله سبحانه (العزير ا.، النظم الاسلامية، 1950م ، صفحة 37)؛ (نيكيئا، 1986م، صفحة 147)

ان من جملة العوامل التي ساعدت على توطيد اركان الدولة الاموية فهي كالاتي:

1. معرفة معاوية بأحوال الشام وضمان تأييدهم له عندما طالب بالتأثر من قتله الخليفة عثمان ، بالإضافة إلى منحه الكثير من الاعطيات والهبات إلى الناس.
2. وقوف بعض القادة والرجال الاكفاء الذين تميزوا بعقلية قيادية وادارية رائعة الى جانب معاوية، وكان من ابرز عماله زياد بن ابيه الذي وصفه المستشرق فلهاوزن قائلاً "ان زياد بن ابيه أهم ما كان تحت يده اموال الدولة وكان هو المسيطر على بيت المال الذي تجري منه الارزاق والاعطيات فكان

عند الضرورة يهدد بمنعها" (تاريخ الدولة العربية، صفحة 123).

3. نقل حاضرة الخلافة من المدينة المنورة في الحجاز إلى دمشق في الشام (العزير ١، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، 1961م، صفحة 95) ' وهذا يرجع إلى ولاء اهل الشام له فضلاً عن معرفة معاوية بأحوال الشام ؛ لكونه كان والياً عليها مما جعله يتخذ من دمشق حاضرة لدولته الجديدة واستمرت دمشق عاصمة للأمويين حتى سقوط الدولة الاموية سنة 132هـ على يد العباسيين.

أن الدولة الاموية واجهت الكثير من الثورات والاضطرابات على الرغم من كونها دولة قوية حكمت جميع بلدان المشرق الاسلامي ، ووصلت إلى بلاد الاندلس وهي الان تشمل اسبانيا والبرتغال ، ومن أولى هذه الثورات التي واجهتها الدولة الاموية هي ثورة الامام الحسين بن علي عليه السلام بسنة 61هـ في عهد يزيد الأول في كربلاء والتي كان فيها عامل الامويين عبيد الله بن زياد (ت276هـ/889م)، 1322هـ، الصفحات 3-4).

أن ثورة الامام الحسين ع مهدت الطريق لحدوث ثورات فيما بعد ضد الحكم الاموي ؛ وذلك لأنه سار على مبدأ الوراثة في الحكم والاستبداد ، ففي البداية كانت الدولة بيد الفرع السفلي وعندما تنازل معاوية الثاني عن حقه في الحكم انتقلت إلى الفرع المرواني وتولاها مروان بن الحكم الذي عرف في التاريخ الاسلامي بأبي الملوك ؛ وذلك لأن اولاده الاربعة تولوا حكم الدولة الاموية ما عدا ابن اخيه عمر بن عبد العزيز الذي تولى الحكم بعد سليمان بن عبد الملك 99-101هـ.

قام الخوارج في اثاره الاضطرابات بالدولة الاموية منذ عهد معاوية بن ابي سفيان إلى اواخر عهد مروان الثاني ، باستثناء فترة حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز (احمد، 1274هـ، صفحة 73) .

قام عبد الله بن الزبير واخاه مصعب بن الزبير في اعلان الثورة ضد الحكم الاموي في مكة منذ سنة 63هـ إلى سنة 73هـ بحيث استغل عبد الله بن الزبير في مكة فتمكن الحاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالقضاء على حركة ابن الزبير (الاثير، صفحة 302) .

قامت ثورة التوابين في الكوفة سنة 65هـ لندمهم بخذلانهم الامام الحسين ع تزعمهم سليمان بن صرد الخزاعي ، ثم دعوا الناس للأخذ بثأر الامام الحسين ع ، وارسل اليهم الخليفة مروان بن الحكم

سنة 65هـ والي عبيد الله بن زياد بن أبيه لقتالهم في موضع يسمى عين الورد ، فحلت بهم الهزيمة وقتل قائدهم .

واجهت الدولة الاموية ثورة خطيرة تزعمها المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة سنة 66هـ بخلافة عبد الملك بن مروان 65-86هـ فتوصل الأمر بالمختار الثقفي إلى ابتداء مذهب الكيسانية وتمكن مصعب بن الزبير بمحاربة المختار الثقفي سنة 67هـ والانتصار عليه ومن ثم الاستيلاء على الكوفة (اليقوبي، صفحة 204) .

خرج الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم 105-125هـ ، وكان الامام زيد يحدث نفسه بالخلافة ويرى انه احق بها من هشام ؛ لذلك اكتشف هشام بما كان يحدث في نفس زيد ، فأتهمه بويعة لخالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة ، وبعث به إلى يوسف بن عمر والي العراق من قبل الخليفة هشام فاستحلفه أنه ليس عنده مال لخالد فخلى سبيله (طباطبا، 1927م، صفحة 39) ؛ (كارل، 1948م، صفحة 157) .

عاد الامام زيد إلى المدينة ومعه نفر من اهل الكوفة حرضوه على الخروج فحاربه والي الاموي يوسف بن عمر فتفرق اصحابه وخذلوه مثلما خذلوا الامام الحسين ع فأصابه سهم في جنبه ومات على اثره ودفنه اصحابه في ساقية واجروا على قبره الماء خوفاً ان يمثل به (الطقطقي، صفحة 120) .

كما انه ظهرت الكثير من الفرق الدينية في العصر الاموي ومنها المرجئة والمعتزلة والزيدية التي اضعفت بالتالي هذه الفرق والحركات إلى اضعاف الاقتصاد في الدولة الاموية (الكريم، 1317هـ، صفحة 186) ؛ (الدوري، مقدمة، صفحة 21) .

استند نظام الحكم في الدولة الاموية إلى نظام الوراثة ، واتخذ الخلفاء الامويين الحجاب للمحافظة على حياتهم من الاغتيالات ، فضلاً عن اتخاذهم المقصورة في المسجد وعينوا الولاة على الاقاليم التي تتبع إليهم بالإضافة إلى الوزراء والكتاب والبريد والشرطة ، وكانوا يتخذون ممن يتصفون بالحنكة السياسية والمقدرة الادارية.

شهد العصر الاموي وصول الدولة الى اوجها على الرغم من الاخطار التي واجهتها بحيث اهتموا بالعلوم وتعريب الدواوين وانشأوا القوة البحرية واتسعت حركة الفتوحات الاسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك ، لكن عدالة الدولة الاموية كانت في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عرف في التاريخ الاسلامي

تاريخ الحركات الفكرية، صفحة 61)، ويعد معاوية بن أبي سفيان بن حرب مؤسس الدولة الاموية بالوراثة والتي دان لها المسلمون زهاء ثمانين سنة 40 - 132 هـ والذي كان جده امية من سادات قریش في الجاهلية ، واسلم معاوية يوم فتح مكة 8 هـ (الدمشقي، 1966، صفحة 138).

تولى معاوية ادارة الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وكذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان تولى معاوية ادارة الشام والجزيرة ثم تولى معاوية الخلافة بعد استشهاده الامام علي ونجح في جمع الناس حوله فقد وصفه نيكلسون قائلاً " معاوية سياسياً محنكاً... تمكن ان يجذب اليه الرجال" (Reynold, 1930, p. 195)، بينما ارجع المستشرق بروكلمان سبب تجمع الناس حول معاوية الى سبب مادي بقوله "استطاع معاوية بعطايا ومواهبه السخية ان يكتسب خصومة السابقين من الهاشميين" (تاريخ الشعوب الاسلامية، صفحة 123)، وعلى اثر توليه الخلافة قام في فتح بلاد المغرب سنة 50 هـ ، وابدى اهتماماً كبيراً بصناعة السفن ، واتخذ من ميناء عكا مركزاً لصناعتها ، وامر بجمع الصناعات والنجارين ورتبهم على السواحل (البلاذري، فتوح البلدان، صفحة 158).

اتخذ معاوية من دمشق عاصمة لدولته ، واصبحت مركزاً تجارياً هاماً للقوافل التجارية ؛ لوقوعها في الهلال الخصيب الغربي وقصبتها القوافل التجارية من اسيا الصغرى الى بلاد المشرق الاسلامي ، وولى زياد بن ابيه على البصرة سنة 45 هـ واستطاع تهدئة الاوضاع فيها ، ثم تولى ادارة الكوفة وقام بضرب الدراهم المماثلة للدراهم التي ضربها معاوية والتي كانت على الطراز البيزنطي والفارسي (سيده، 1947، صفحة 66) ، فقد ارجع بروكلمان الانظمة والاصلاحات الاقتصادية التي قام بها الامويين الى الطراز البيزنطي بقوله "ارجع كسلفه العظيم الى النظام الاداري الهليني الروماني الذي ثبت صلاحه على مر الاجيال واعاد النظر في الضرائب ... ونظم جبايتها" (تاريخ الشعوب، صفحة 124).

مما لاشك فيه ، ان معاوية لم يقوم باصلاحات اقتصادية كبيرة ؛ لانشغاله بالظروف السياسية لتثبيت حكمه باستثناء اصلاحاته البحرية القائمة على صناعة السفن التي برهنت لنا اهم الاثار العسكرية الاقتصادية بحيث قام في بناء اسطول عربي لشن الحملات البحرية لغزو القسطنطينية ببحراً ، بالإضافة إلى بروز دور دمشق التي قصبتها القوافل التجارية تبعاً لموقعها الجغرافي المتميز وكونها عاصمة الدولة الاموية ، وان اهم ما يلاحظ على

بالخليفة العادل وتميز حكمه عن سائر الخلفاء الامويين ، فقد اثنى عليه بروكلمان بقوله "ان اعظم ما عني به عمر بن عبد العزيز الاصلاح المالي ... وبدأ اسقاط الجزية عن جميع المسلمين ... وان جماع الاراضي المفتوحة انما هو فيء للجماعة الاسلامية ، اي انه ملك لها دون تمييز بأن يكون مسلم او غير مسلم" (تاريخ الشعوب، صفحة 147) ، لكن تثبتت الدولة الاموية كان على يد عبد الملك بن مروان الذي قام بالكثير من الانجازات والاعمال التي سوف نسلط عليها قلمنا في متن بحثنا هذا ، كما أن العصر الاموي تميز بالعديد من الاعمال العمرانية التي كان لها مردودات اقتصادية كبيرة على مستوى الدولة سواء كانت هذه الاعمال في مشرق العالم الاسلامي ومغربه.

يبدو لنا من خلال مما سبق ، بأن المبدأ القبلي كان اكثر المبادئ اثراً في الدولة بينما كان المبدأ الاسلامي السبب الواقع للحركات التي قامت ضد الامويين ، فقد احتشد الموالي بأعداد كبيرة في الامصار العربية وطالبوا بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية مع العرب (لويس، صفحة 96)، فعلق على الصراعات هذه المستشرق جوزي بقوله "ان الصراع بين العرب والموالي في دولة بنو امية صراعاً طبقياً ، فقد نشب الصراع بين طبقة الاغنياء وطبقة الفقراء" (من تاريخ الحركات الفكرية، صفحة 65)، وعلى الرغم من ذلك ألا ان الدولة الاموية كانت قوية امتد سلطانها من دمشق حتى حدود فرنسا الحالية ، لكن نرجع الى نقطة مهمة الا وهي الصراعات القبلية ومبدأ وراثة الحكم ادى الى ضعفها وسقوطها على يد العباسيين سنة 132 هـ.

علق المستشرقين على صفات الامويين الاقتصادية وكان على رأسهم المستشرق برنارد لويس الذي وصفهم بقوله "أن الخلفاء الامويين انفسهم وكثيرين غيرهم من الاثرياء عاشوا في ترف باذخ في المدن وحتى في البادية ، وصرفوا مبالغ طائلة على بناء القصور وتأثيثها ، وكان اقتصاد الدولة الاموية يقوم في الدرجة الاولى على النقد" (زايد، 1954م، صفحة 96)، وكذلك وافقه جوزي قائلاً "ألا أن حبهم للأموال التي ورثوها عن اجدادهم تجار مكة وحاجتهم الماسة اليها لقضاء مهماتهم السياسية الكبرى والقيام بالفتوحات الواسعة الصعبة ومحاربة اعدائهم داخل البلاد الى غير ذلك من الاسباب التي اوجدها التغيير الاجتماعي الذي ظهر في دار الاسلام في السنوات الاخيرة التي مرت عليه، كانت تضطربهم إلى طلب المال بكل الوسائل وفي جميع اطراف امبراطوريتهم الواسعة ، أو بعبارة اخرى الى زيادة الضرائب على الاهالي وجمعها بأشد الطرق واثقلها على الطبقات التي كانت تؤديها" (جوزي، من

عهد معاوية قوة والي البصرة والكوفة زياد بن ابيه الذي وصل الى سك النقود.

أن عبد الملك بن مروان 65-86هـ/685-705م الذي ولد في المدينة سنة 26 هـ ، ونشأ نشأة عالية فقد عرف بالشجاعة والنجدة ، وكان فصيحاً بليغاً صريحاً في الحق ، حفظ القرآن الكريم وقرأ العلوم الدينية من الفقه والتفسير والحديث على مشيخة الحجازيين في المدينة، ولادة معاوية بن ابي سفيان اماره المدينة سنة 42هـ (كثير، صفحة 61)

تولى عبد الملك الخلافة في ظروف لا يحسد عليها ، وقام بالكثير من الاصلاحات الادارية والعسكرية والاقتصادية فعد المؤسس الحقيقي للدولة الاموية، وولى اخاه عبد العزيز على ادارة مصر ، وقام عبد العزيز بجملة من الاصلاحات منها:

1. بناء مقياس لنهر النيل.
2. زاد في جامع عمرو بن العاص في القسطنطينية.
3. اقامة قنطرة عند الحمراء القصوى بطرف القسطنطينية.
4. اتخذ من حلوان حاضرة لولايته.
5. غرس الاشجار والنخيل.
6. بناء المساجد في حلوان وغيرها من المباني الفخمة (علي ا، 1270هـ، صفحة 157)

يبدو لنا واضحاً بأن عهد عبد العزيز بن مروان في مصر ، كان عهد يسر ورخاء لمصر كان حصيلتها ازدهار الحياة الاقتصادية عندما بنى مقاييس لنهر النيل الذي كان يفيض ولا يعرف السكان موسم فيضانه ، فضلاً عن استقرار الاوضاع السياسية في مصر تبعاً لعدالة وكرم والي عبد العزيز.

أما عهد عبد الملك الذي كان يعاصر عهد اخيه عبد العزيز في مصر ، فقام عبد الملك بجملة من الاعمال العمرانية الاقتصادية بعد قضاءه على عناصر الفوضى والاضطراب ، فقام بعدة اصلاحات في الدولة ، وولى ادارة العراق الى الحجاج بن يوسف الثقفي الذي عد من رجال الدولة الاداريين والمعروف بسياسته الشديدة التي تقارن بسياسة زياد بن ابيه (حسن ح، 1964م، صفحة 294)

أن أول عمل اصلاحي قام فيه الخليفة عبد الملك بن مروان هو ضرب النقود في الشام سنة 77هـ ونقش على احد وجهيه عبارة الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد وحوله بسم الله ضرب هذا الدينار في سنة سبع وسبعين ، ونقش على الوجه الثاني مكتوب لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وحوله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله (البلاذري، فتوح البلدان، صفحة 655)؛ (محمد ا، 1298هـ، صفحة 148)؛ (قتيبة، 1934م، صفحة 241)؛ (محمد ا، صفحة 809)

تعد النقود التي ضربها الخليفة عبد الملك أول نقد اسلامي خالص خالي من التأثيرات المسيحية ، وهذا يؤكد الاستقرار الاقتصادي التي وصلت اليه الدولة الاموية فقد مدحه فون كرممر قائلاً "ان عبد الملك من اهم الاعمال التي قام بها اصلاح العملة وهي تدل على حسن سياسته وبعد نظره" (Von Kremer, 1920, pp. 199- 200)

أن هنالك جملة من العوامل دفعت عبد الملك بن مروان إلى ضرب النقود ومنها:

العامل السياسي: لتحدي مكانة الدينار البيزنطي وسيادته المالية ، ويرمي من وراء ذلك الى اظهار الدور الذي يمكن ان تلعبه القوة العربية الاسلامية الجديدة في الميدان الاقتصادي والمالي بعدما اثبتت تفوقها الكبير في المجال العسكري والسياسي.

العامل المالي: لمواكبة النمو الاقتصادي الذي شهدته الدولة ، وتغطي حاجة المعاملات التجارية الجارية في الاسواق (المجيد، 1988م، صفحة 152)

العامل الديني: لازالة عبارات السيد المسيح الى الربوبية ، وكانت تطرز في رؤوس الصحف وامر ان يكتب مكانها قل هو الله أحد وبذلك قام عبد الملك بضرب نقود ذات طراز اسلامي.

مما لاشك فيه، ان عبد الملك اراد ان يجذب قلوب المسلمين اليه ، وكذلك تجار رؤوس الاموال الى الشام ؛ لكونها مركز للقوافل التجارية اذن فالعامل المباشر الذي دفع عبد الملك لضرب النقود هو لمنافسة ملك الروم لكونه يضرب النقود الذهبية.

طلب عبد الملك من والي العراق الحجاج بضرب النقود سنة 77هـ في العراق على غرار النقود التي ضربها ، وفعلاً ضرب الحجاج الدراهم ونقش على جانب منها بسم الله، وفي الجانب الاخر الحجاج، لذلك عد الحجاج اول والي اموي ينقش اسمه على الدراهم بعد زياد بن ابيه (الموردي، صفحة 154)

يوضح اجراء الحجاج بنقش اسمه على الدراهم الى مدى قوته ومقدرته الادارية ، واستبداده وسوء معاملته لرعاياه .

من بين الولاة الذين ضربوا السكة في اقاليمهم والتي هي على غرار السكة المركزية التي ضربها عبد الملك بن مروان والحجاج

بن يوسف ، هو والي العراق الاموي عمر بن هبيرة الفزاري أبان خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان 101-105 هـ (باقر، 1969م، صفحة 48) .

من الشخصيات الاقتصادية الاخرى التي ضربت النقود هم الولاة كل من والي خالد بن عبد الله القسري والي العراق في خلافة هشام بن عبد الملك 105-120 هـ ، والوالي يوسف بن عمر والي العراق في خلافة الوليد بن يزيد 120-126 هـ، وهؤلاء الولاة ضربوا النقود التي حملت اسمائهم (علي ح.، 1978، صفحة 30) ؛ (Diez E. , 1915, p. 12) .

أن سياسة الامويين الاقتصادية انعكست سلباً فيما بعد فقد أثقلت الضرائب كاهل الناس وخاصة الموالى الذين فيما بعد وقفوا بجانب العباسيين ضد الامويين فقد ذكر لنا ذلك المستشرق جوزي بقوله "أما بنو امية - الا عمر بن عبد العزيز - فأنهم حملوا اهل الذمة على تأدية الجزية والخراج كأنهم لم يدخلوا في الاسلام ، ولم تجر عليه احكامه فكانت نتيجة هذه السياسة الاقتصادية ان قل عدد الداخلين في الاسلام وزاد استياء الذين دخلوا منهم من الاسرة المالكة والدين الجديد حتى حملهم على الخروج عليها والعمل مع سائر اعدائها على اسقاطها" (من تاريخ الحركات الفكرية، صفحة 62)، وكذلك تذر الكاتب القبطي سويرس وشكا حال امته في اواخر عهد بنو امية قائلاً "ان كثيرين من اغنياء وفقراء ملتنا انكروا دين المسيح هرباً من الخراج وسائر الضرائب الباهظة" (جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية، صفحة 65).

أن اهم ما يلاحظ على ضرب النقود ، ان لها اثراً اقتصادياً كبيرة كانت في صالح الدولة الاموية ونجمت عنها فوائد جمة ، فارتقت الدولة الاموية وارتفع من شأنها وهذا يرجع الى شخصية ولاتها ، ومنهم الحجاج الذي عمل على متابعة الاصلاحات الادارية وخاصة فيما يتعلق بنظام العملة والمكايل والضرائب وتنمية الزراعة.

المبحث الثاني: الاعمال العمرانية والادارية في عصر الدولة الاموية وفق رؤية المستشرقين

أن للأعمال العمرانية التي قام فيها الخلفاء الامويين وولاتهم اثراً اقتصادياً كثيرة ، بحيث انهم لم يختاروا مواقع بناء المدن اعتباطاً بل بعد دراسة طوبوغرافية مستفيضة ، فضلاً عن الاهداف المنبثقة لبناء هذه المدن.

تمكن القائد عقبة بن نافع في سنة 51 هـ بعدما فتح بلاد المغرب وبمساعدة والي مصر عمرو بن العاص في اقامة قاعدة للجند العربي ؛ بهدف استكمال تحرير ما تبقى من اجزاء المغرب وافريقيا (العزيز ا.، 1911، صفحة 25).

ان هذا الاجراء يرجع بالأساس الى شخصية عقبة بن نافع الادارية والسياسية المحنكة يقارن بشخصية والي العراق زياد بن ابيه وبالحجاج بن يوسف الثقفي ، لكن اهداف كل من عقبة والحجاج تختلف ، فهذه عقبة عسكري لاستكمال تحرير المغرب بينما هدف الحجاج متعدد منه ما كان سياسياً ومنه ما كان ادارياً ومنه ما كان شخصياً واقتصادياً.

تم لعقبة بن نافع ما خطط له واصبحت القيروان قاعدة عسكرية تتوجه منها الجيوش الاسلامية لفتح بلاد المغرب وافريقيا ، لكنها لم تأخذ بعض الاعتبارات الاقتصادية على عكس المدن الاسلامية الاخرى.

أن من اهم الاعمال العمرانية الدينية قبة الصخرة التي قام في بنائها الخليفة عبد الملك سنة 72 هـ/691م وعدت نموذجاً فذاً في فن العمارة الاسلامية ، وتقع القبة في وسط الحرم الشريف ببيت المقدس (الدين، 1911، صفحة 171)؛ (Diez, p. 12) .

يرى المستشرق الالمانى بروكلمان ان من بين الاسباب التي دفعت عبد الملك من بناء وتشيد قبة الصخرة في انه اراد ان يصرف حجاج الشام عن مكة ؛ وذلك لقيام حركة ابن الزبير فيها (تاريخ الشعوب الاسلامية، صفحة 141) .

ان رؤية بروكلمان بعيدة عن الموضوعية التاريخية فقد ذكر لنا المقدسي بأن اعمال عبد الملك ولاسيما بناء قبة الصخرة ؛ وذلك لكي يضاهي عمائر النصارى لأن الشام خضعت للبيزنطيين لمدة طويلة من الزمن فقاموا بالكثير من الاعمال العمرانية التي اذهلت كل من زارها (محمد ش.، 1906، صفحة 139) .

قام الحجاج الثقفي الذي اتصف بشخصية ادارية اقتصادية جبارة ولاسيما في معاملة السكان المحليين ، في تخطيط وبناء مدينة واسط سنة 82 هـ التي تتوسط بين البصرة والكوفة والاحواز ، وكان الحجاج عكس عقبة لديه اهداف من بناء مدينة واسط وفي مقدمة هذه الاهداف والعوامل :

العامل السياسي: انضم اهالي الكوفة والبصرة الى حركة عبد الرحمن ابن الاشعث ضد سياسة الحجاج ؛ وقام العرب بحرق سجلات الاراضي في الديوان وادعوا بملكية اراضي من الصوافي

او من ارض الخراج لذلك ادرك الحجاج بأن وجوده في البصرة والكوفة بات مهدداً وغير آمن ففكر في بناء وتأسيس مدينة جديدة له ولجنده من العنصر الشامي (البلاذري، انساب الاشراف، 1974، صفحة 349)؛ (الدوري، مقدمة، صفحة 25) .

الدافع الاداري والاجتماعي: لعزل جند العراق عن جند الشام بالإضافة الى أن الكوفة والبصرة تمثلان وحدتان اداريتان مستقلتان.

الدوافع الشخصية: عندما جاء الحجاج الى العراق واجه الكثير من الثورات والحركات السياسية لذلك اتجه الى تأسيس مدينة له تعكس مكانته السياسية وقدرته وهيمنته على الاوضاع ، وبنى فيها المسجد الجامع والاسواق ودار الامارة واقام فيها جسر يربط جانبها الشرقي بالغربي واحاطها بسور وخندق (الواسطي، 1967، صفحة 43)؛ (بروكلمان، صفحة 146) .

يبدو لنا من خلال مما سبق، بأن الحجاج الثقفي كانت له اهداف عندما خطط واسط ومن ثم تبينت اهميتها ، وتبين لنا القوة التي وصل اليها من بناء واسط وضرب النفود باسمه وتعريب ديوان العراق ، فهذا يولد لنا فكرة في ان العراق كان تابع بصورة لا مركزية الى دار الخلافة في بلاد الشام ، بالإضافة الى اضطرار الحجاج الثقفي الجند العراقيين ، وتفضيل العنصر الشامي عليهم لكن واسط ازدهرت اقتصادياً ؛ وذلك لنشاط التجارة والحرف الصناعية فيها ، ومن بين الخلفاء الامويين الذين اشتهروا بالأعمال العمرانية الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي شيد المسجد الجامع في دمشق سنة 88هـ وعرف باسم المسجد الاموي أو مسجد الوليد ، وانفق عليه الكثير من النفقات وكرت الروايات التاريخية بأنه كان يحتوي على ستمائة سلسلة من الذهب (جرير، 1326، صفحة 559)؛ (الحموي، صفحة 466)؛ (الله، 1924، صفحة 182)؛ (حسن، صفحة 525) ' ووصف بروكلمان المسجد الاموي قائلاً "على غرار بيت النبي في المدينة ولكن هذه البساطة لم تلبث ان اصبحت زياً قديماً" (تاريخ الشعوب، صفحة 140) .

مما لا شك فيه ، ان الرخاء الذي وصلت اليه الدولة الاموية على يد عبد الملك بن مروان مهد إلى الوليد ان يتفنن في بناء المسجد الجامع بدمشق ، وهذا يبرهن لنا ازدهار وتطور الحياة الاقتصادية للدولة الاموية.

أن للأعمال الادارية في الدولة الاموية اثار اقتصادية كبيرة على العالم الاسلامي ومن بين هذه الآثار ما يلي:

الدواوين: تعددت الدواوين إلى خمسة تدير شؤون الدولة تبعاً لاتساعها ، فقد استعان معاوية بأشخاص من النصارى لإدارة الدولة (عبدوس، 1938، صفحة 38) .

هذا يدل لنا اعتماد الدولة الاموية في ادارتها على بقايا النظم الادارية المعمول بها عند البيزنطيين ؛ لكون بلاد الشام كانت تخضع للسيطرة البيزنطية منذ عهود طويلة.

يرجع الفضل في تعريب الدواوين الى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي عرب دواوين الشام ، وطلب من الوالي على العراق الحجاج الثقفي بتعريب دواوين العراق ، وكذلك تعريب النفود (صليبا ج، 1081، صفحة 97)، فقد علق المستشرق جوزي على سلطة الحجاج الثقفي قائلاً "أن الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك على الشرق كان يجمع من ولايتي فارس والاهواز ثمانية عشر مليوناً من الدنانير فقط" (صليبا، صفحة 41) .

يبدو أن عبد الملك رأى بأن الوضع سوف يكون في جانبه ، وادرك بأن ثقته في الادارة لا يمكن ان تتم ما دام موظفوها ليسوا عرباً .

نستنتج مما سبق بأن من بين العوامل التي دفعت الخليفة عبد الملك ووالي العراق الحجاج الثقفي الى تعريب الدواوين مما يلي:

العامل السياسي الذي يهدف الى تقوية الدولة الاموية وتحريرها من النظم الادارية والمالية الساسانية والبيزنطية وتأمين سياستها الادارية المالية.

العامل الاقتصادي الذي يرجع للاختلاف في لغات الدواوين الذي بدوره يؤدي الى تفتت النظام الاقتصادي ويعيق ادارتها المالية ، وان الغاية من التعريب السيطرة على الاقتصاد الاسلامي للنهوض بواقع الدولة وخاصة بعد تخلصها من الثورات.

العامل الاجتماعي والعلمي الذي يهدف الى جعل اللغة العربية لغة رسمية فضلاً عن ترجمة الكتب الطبية وتعريب الانجيل حتى يطلع المسلمين عليه ، مما يكون من المجتمع مجتمعاً متطوراً يخرج من طبيعته القبلية الى التمدن.

الخلاصة

تبين لنا من خلال مما سبق ، الى ان ما قام به الخلفاء الامويين وولاتهم قد انعكس على الدولة ووصلت الى اوج قوتها وازدهرت اقتصادياً مما مهد هذا الازدهار الى الاهتمام بالأعمال العمرانية . ان ما وصل اليه الخلفاء الامويين مهد للخلفاء العباسيين ولاسيما

- الخليفة ابو جعفر المنصور وابنه المهدي والخليفة هارون الرشيد الى الاهتمام بالثروة الاقتصادية للدولة فقد اكملوا ما توصل اليه الامويين.
- المصادر**
- Diez. (n.d.). Die Kunst.
 - Diez, E. (1915). Die Kunst der Is amischen voiker. Berlin.
 - Reynold, L. (1930). History of the Arabs. Cambribdge.
 - Von Kremer, A. (1920). Cultarge schichte des orient under den chalifen. Calcutta.
 - ابن الاثير، عز الدين علي بن احمد. (1274هـ). الكامل في التاريخ. بولاق.
 - ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا. (1927م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية. القاهرة.
 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (ت 808هـ). المقدمة. القاهرة.
 - ابن قتيبة. (1934م). المعارف. القاهرة.
 - ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م). (1322هـ). الامامة والسياسة. القاهرة.
 - ابن كثير، الحافظ ابو الفداء الدمشقي. (1966). البداية والنهاية. بيروت: مكتبة المعارف.
 - ابي جعفر محمد بن الحسن (ت460هـ). (1385هـ). تلخيص الشافي. النجف: مطبعة لقمان.
 - احمد بن ابي يعقوب (ت284هـ/897م). (1358هـ). تاريخ اليعقوبي. النجف: المكتبة المرتضوية.
 - البكري، ابو عبيد بن عبد العزيز. (1911). المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب. باريس.
 - البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م). فتوح البلدان. (تج: رضوان محمد رضوان، المحرر) القاهرة : مطبعة السعادة .
 - البلاذري. (1974). انساب الاشراف. (الشيخ محمد باقر، المحرر) بيروت.
 - الجهشياري، محمد بن عبدوس. (1938). الوزراء والكتاب (المجلد 1). (مصطفى السقيا واخرون، المحرر) القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي.
 - الحسيني، محمد باقر. (1969م). تطور النقود العربية الاسلامية. بغداد: دار الجاحظ.
 - الدوري، عبد العزيز. (1950م). النظم الاسلامية. بغداد : مطبعة نجيب .
 - الدوري، عبد العزيز. (1961م). مقدمة في تاريخ صدر الاسلام. بيروت .
 - الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داوود (ت282هـ/895م). (1960م). الاخبار الطوال (المجلد 1). (تج: عبد المنعم عامر، المحرر) القاهرة : دار احياء الكتب العربية.
 - الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم. (1317هـ). الملل والنحل. القاهرة.
 - الطبري، محمد بن جرير. (1326). تاريخ الرسل والملوك. القاهرة.
 - العمري، ابن فضل الله. (1924). مسالك الابصار في ممالك الامصار. القاهرة.
 - الكبيسي، حمدان عبد المجيد. (1988م). دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي. بغداد: مطبعة التعليم العالي.
 - الماوردي، علي بن محمد. (1298هـ). الاحكام السلطانية. مصر.
 - المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م) الحسين. (1885م). مروج الذهب ومعادن الجوهر . القاهرة : مطبعة دار الرجاء .
 - المقريزي، تقي الدين احمد بن علي. (1270هـ). المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار. بولاق.
 - العرب في التاريخ. (1954م). (تر: نبيه امين فارس ومحمود يوسف زايد، المترجمون) بيروت: دار العلم للملايين.
 - ايليسف، نيكيتا. (1986م). الشرق الاسلامي في العصور الوسطى. (تر: منصور ابو الحسن، المترجمون) بيروت : دار الكتاب الحديث .
 - بحشل، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي. (1967). تاريخ واسط. (كوركييس عواد، المحرر) بغداد.
 - بروكلمان، كارل. (1948م). تاريخ الشعوب الاسلامية (المجلد 6). (تر: نبيه امين ومنير البعلبكي، المترجمون) بيروت.
 - جوزي، بندلي صليبا. (1081). من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام. (حسين مروه، المترجمون) بيروت: دار الروائع.
 - حسن، ابراهيم حسن. (1964م). تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- حلاق، حسان علي. (1978). تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي (المجلد 1). دار الكتاب اللبناني.
- سورة الانعام.
- سورة الشورى.
- شمس الدين ابو عبد الله محمد. (1906). احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم. ليدن.
- فاروق عمر. (بلا تاريخ). النظم الاسلامية مقدمة تاريخية. العين: دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر.
- كاشف، سيده. (1947). مصر في فجر الاسلام. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين. (1911). معجم البلدان. القاهرة. يوليوس. . تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (الإصدار 1968). (تر: د. محمد عبد الهادي ابو ريده، المترجمون) القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر .